سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الحادي عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الحادي عشر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تكمُل الطاعات، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فهٰذه الآيات التي سمعتُم هي في معرض الاستدلال علىٰ صفة (المشيئة) لله جل وعلا وصفة (الإرادة) لله جل وعلا، وقد ساق شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قبل ذلك آيات فيها إثبات صفاتٍ لله جل وعلا متنوعة، وشيخ الإسلام في سياقه لتلك الآيات:

- تارة يكون مرتبا لها لمعاني.
- وتارة تكون الصفة بعد الصفة هكذا اتفاقا.

فهٰذه الصفة وهي صفة (المشيئة) و(الإرادة) ذكرها بعد صفة (السمع) و(البصر) في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[النساء].

ومن المناسبة في ذلك أن (السمع) و(البصر) و(الإرادة) و(المشيئة) ثم يعقبها بعد ذلك بـ (المحبة) و(الرضا) و(الحياة) ونحو ذلك من الصفات، هٰذه الصفات يثبتها الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم في ذلك. وهي صفات يثبتونها بالعقل، وهي ثابتة أيضا كما ذكر الأدلة علىٰ ذلك بالسمع.

فهو يريد أن يقول: إن هٰذه الصفات التي أثبتها أولئك المبتدعة علىٰ الأصل العقلي عندهم، هي ثابتة بالأدلة المنقولة بما جاء في كتاب الله جل وعلا من الآيات الكثيرة في ذلك.

وما ذكر إنما هو علىٰ جهة التمثيل، وما ثبت أيضا في ذلك من السنة كما سيأتي الاستدلال ببعض الأحاديث علىٰ الصفات.

وصفة (الإرادة) و(المشيئة) لله جل وعلا الإدلة علىٰ إثباتها من الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصر؛ بل من الواجب عند أهل الفطر السَّليمة أن الله جل وعلا **يفعل** ما يشاء، ويفعل ما يريد، لأن ذلك من مقتضيات كونه ربا جل وعلا؛ فإن الربوبية مقتضية لأن يفعل في ملكه ما يريد، لأنه لو فُعِل في ملكه ما لا يريده كونًا لكانت في ذلك منازعة له في الربوبية.

ولهٰذا فإن صفة (الإرادة) و(المشيئة) هٰذه لم ينكرها إلا طوائف من الفلاسفة الضُّلَّال وهم لا ينكرونها مطلقا وإنما ينكرون بعضها.

والمتكلمون علىٰ وجه العموم يثبتونها بالعقل، ودليلها من العقل عندهم التخصيص. و(الإرادة) عندهم إرادة قديمة، وتعلقها بما (علم) الله جل وعلا أنه سيكون بـ (الإرادة) القديمة، هٰذا التعلق بما سيحصل تعلقه بـ (القدرة) المحدِثة له يسمونه (تخصيصًا)، ويسمون (التخصيص): (الإرادة).

فإذن عندهم أن (الإرادة) هي تخصيص المقدورات بالمقدروات المعلومة أزلًا لله جل وعلا بما خصِّصت به.

ويعنون بـ (التخصيص) أنواعا من التخصيص منها: أنها كانت في هٰذا الزمن دون غيره، مثلًا خلق الله الشيء المعين في هٰذا الوقت دون غيره، لِمَ خلق في هٰذا الوقت دون غيره؟

تخصيص المخلوق أو الحادث بما حدث له في زمن دون غيره، هٰذا التخصيص عندهم هو معنىٰ (الإرادة)، هٰذا من جهة التعلق بالزمن.

كذلك من جهة الطول والقِصر والضخامة والضآلة، من جهة تكامل الصفات فيه وغير تكامل الصفات فيه – يعني في المعيّن – طول مدة بقائه وقلة مدة بقائه، انعدامه أو غير انعدامه ونحو ذلك، كل هٰذه تسمىٰ عندهم (تخصيصات)، وهٰذا (التخصيص) في الأشياء هو الدليل العقلي الذي نصبوه علىٰ صفة (الإرادة).

ولا شك أن هٰذا الدليل من حيث هو: استنتاج صحيح.

فإن التأمل في هٰذه الأشياء التي خلقها الله جل وعلا علىٰ اختلافها لا شك ينتج أن تلك التخصيصات المختلفة إنما جاءت من جهة (إرادة) الله جل وعلا لهٰذه الأشياء أن تكون علىٰ ما هي عليه.

وقد أثبت شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هٰذا الدليل في «شرح العقيدة الأصفهانية»، وأثبته أيضا في «تائيته القدرية» حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ:

وفي الكون تخصيص كثير ... يدل من له نوع عقل أنه بإرادةِ

وهٰذا ولو كان صحيحا؛ لكن القاعدة أن الصفات إنما تُثبت بالنصوص، فإذا جاء العقل مثبتا لصفة فإنما هو تابع لما دل عليه النص، وهٰذا هو ما يعتمده أهل السنة في الدلالات العقلية للصفات يعني: في إثبات الصفات عن طريق الدليل العقلي، فإنهم قد يذكرونه وقد لا يذكرونه وذلك لاستغنائهم بالوحيين،

ولا يعني ذلك أن إثبات الصفات لا يكون بطريق عقلي؛ بل منها كثير يكون إثباته بطريق عقليٍّ صحيح، ولكن لا يذكر أهل السنة الطرق العقلية؛ لأن الكتاب والسنة عندهم كافيان في إثبات الصفات؛ لأن الله جل وعلا أعلم بنفسه، والعقل معرَّض للخطأ ومعرَّض للزلل وأما النص فهو الكامل من كل جهاته.

إذا تبين لك ذلك فهٰذه الأدلة التي ذكرها فيها إثبات (المشيئة) لله جل وعلا كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩].

وفيها إثبات (المشيئة) و(الإرادة) في قوله تعالىٰ في الآية الثانية : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ .

وفيها إثبات (الإرادة الشرعية) في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾[المائدة] أو (الإرادة الكونية والشرعية) معا.

وكذلك (الإرادة الكونية) في قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[الأنعام:١٢٥].

فهٰذه الآيات فيها إثبات صفة (المشيئة) وصفة (الإرادة) لله جل وعلا وفيها إثبات غير هاتين الصفتين.

ولكن مقصود شيخ الإسلام من الاستدلال بهٰذه الآيات صفة (المشيئة) وصفة (الإرادة)، والذي دلت عليه النصوص أن (الإرادة) إرادة الله جل وعلا للأشياء هٰذه تنقسم إلىٰ:

- **إرادة كونية قدرية** يعني: متعلقة بالكون بمخلوقات الله من حيث إيجادُها وإعدامها، من حيث تقلُّباتها وأحوالها.
- وهناك **الإرادة الشرعية الدينية** وهٰذه المتعلقة بالأمر.

فـ(الإرادة الكونية) متعلقة بالخلق، و(الدينية) متعلقة بالأمر والله جل وعلا له الخلق والأمر.

و (المشيئة) مشيئة الله جل وعلا هي (الإرادة الكونية)، فإذا قلنا (شاء الله كذا) يعني: أراده (كونا) وإذا قلنا (أراد الله كذا) فهٰذا يحتمل أن يكون المراد من (الكونيات) أو أن يكون المراد من (الشرعيات) وأما (المشيئة) فليس ثَم دليل لا في الكتاب ولا في السنة علىٰ انقسامها إلىٰ (مشيئة كونية ودينية)، وإنما الذي ينقسم (الإرادة).

فإذن صارت (المشيئة) بعض الإرادة، فـ (الإرادة) من أقسامها (المشيئة) ومن أقسامها (الإرادة)..[1]

فإذن صارت (المشيئة) بعض الإرادة فـ (الإرادة) من أقسامها (المشيئة) ومن أقسامها (الإرادة الدينية الشرعية).

إذا تبين لك ذلك فهٰذه النصوص في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾، ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿مَا﴾ هٰذه مبتدأ أو خبر، فإذا كانت مبتدأ يعني هي موصولة؛ يعني الذي شاء الله، لكن أين خبره؟ (ما شاء الله كان) أو (ما شاء الله حصل) أو أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (الأمر ما شاء الله)، (الذي كان وحصل هو الذي شاءه الله جل وعلا)، (هٰذا – المشار إليه – ما شاء الله) الذي شاء الله يعني ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ يعني هلاّ حين دخلت جنتك قلت: هٰذا الذي شاء الله، ففيه نفي للمشيئة عن مالك الجنة وعن الذي عمل فيها وإحالة ذلك إلىٰ الله جل وعلا لأنه ما شاء الله كان.

وهٰذا طبعًا فيه إثبات (المشيئة) العامة التي تتعلَّق بصغار الأمور وبكبارها.

كذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ ﴾ هٰذا فيه أن الاقتتال وقع بـ (المشيئة)، وفيه أيضا أن (مشيئة) الله جل وعلا و(إرادته الكونية) معللة، فإن الله جل وعلا لو شاء ما اقتتل أولئك؛ ولكنه أراد قتالهم لحكمة يعلمها جل وعلا، فـ (مشيئة) الله مرتبطة بحكمته جل وعلا، فهو (يشاء) جل وعلا لحكمة و(يريد) لحكمة، وهٰذه الحكمة هي: الغايات المحمودة عند الله جل وعلا للمُرادات. هٰذه هي الحكمة في حق الله هي: الغايات المحمودة للمُرادات .

وقوله هنا جل وعلا: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ فيها إثبات صفة (الإرادة) كما مر، وفيها أيضا إثبات أن الذي (أراده) الله جل وعلا يفعله؛ قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ وهٰذا صفة كمال له جل وعلا؛ لأن كل المخلوقات لا تفعل ما تريده، ليس كل شيء تريده تفعله؛ بل قد تريد أشياء ولا تستطيع فعلها لتخلُّف (القدرة)، فإن المقدور المعيّن الذي سيحدُث أو الذي يُراد أن يحدث يكون (بإرادة) جازمة و(بقدرة) تامة، فإذا حصلت (الإرادة) الجازمة بتحقيقه وحصلت (القدرة) علىٰ إيقاعه حصل هٰذا

---

[1] انتهى الشريط السادس.

الشيء وكان، وهٰذا يتخلف في المخلوق كثيرا فالمخلوقات فيها من جهة (الإرادة) صفة النقص وهي أنها (تريد) أشياء؛ ولكن لا تحصل المرادات، والذي يتفرد بأنه يفعل ما يريد وهو فعال لما يريد وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن هو الواحد القهار جل وعلا، وهٰذا من مقتضيات كونه هو (المالك)، (الأحد)، (الفرد)، (الصمد) الذي له هٰذا الملكوت العظيم جل وعلا وتقدس وتعاظم سبحانه.

وقوله جل وعلا بعد ذلك في الآية الأخيرة في آية المائدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فيها أيضا صفة (الإرادة) و (الحكم) هنا راجع إلىٰ الحكم الشرعي، و(الإرادة) هنا أيضا فيما يظهر راجعة إلىٰ (الإرادة الشرعية).

وقوله في الآية الأخيرة: (وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾) هٰذه (الإرادة الكونية) ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ إرادة كونية ﴿أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾، أما (الإرادة الشرعية) فالله جل وعلا مريد أن يهتدي الناس وأن يحصل منهم الإسلام لأنه أمرهم بذلك ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ كونا ﴿أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ﴾ كونا ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

إذا تبين لك ذلك فـ(الإرادة) عند أهل السنة والجماعة أو (المشيئة) صفة قائمة بالله جل وعلا من صفاته جل وعلا الذاتية يعني: أنه جل وعلا لم يزل مريدا لم يزل شائيا، فإنه لم تنفكّ عنه هٰذه الصفة وهي صفة (المشيئة) و(الإرادة)، وهي مع ذلك متعلِّقة من جهة الأفراد بكل فردٍ حصل في ملكوت الله.

فإذن هي من حيث النوع قديمة، ومن حيث الأفراد متجددة، فكل شيء يحدث في ملكوت الله هو (بإرادته) جل وعلا الكونية و(بمشيئته) جل وعلا، وهٰذه الصفة قائمة بالله جل وعلا ومتعلقة بالذي حدث حال حدوثه، متعلقة به حال حدوثه.

فـ(الإرادة) -إذن- الله جل وعلا لم يزل مريدا وهٰذا من أوائل اعتقاد أهل السنة والجماعة في ذلك، أما غير أهل السنة والجماعة فيقولون: إن (الإرادة) قديمة، هٰذا قول الأشاعرة والماتريدية، يقولون: (الإرادة) و(المشيئة) يعني الإرادة الكونية والمشيئة وحتىٰ الإرادة الشرعية عندهم قديمة، ما معنىٰ كونها قديمة؟

عندهم أن (الإرادة) وهي التوجه بتخصيص بعض المخلوقات بما خُصّصت به زمانا أو مكانا أو صفات هٰذا التخصيص أو هٰذا التوجُّه للتخصيص قديمٌ من جهة (الإرادة) قديم، إرادته قديمة.

(الإرادة) عندهم لها جهتان:

- **جهة يسمونها (صُلوحية)** يعني راجعة إلىٰ ما يصلح وما لا يصلح، فيقولون: من جهة الصلوحية فـ(الإرادة) تابعة للعلم.

- ولها **جهة ثانية يسمونها الجهة (التنجيزية)** يقولون: هي من جهة التنجيز تابعة للقدرة.

يريدون بذلك مخالفة أهل الاعتزال، لأن المعتزلة – يأتي إن شاء الله كلامهم في ذلك – يخالفون في هٰذا ويجعلون (الإرادة) راجعة – هم يثبتون صفة الإرادة– إلىٰ العلم من جهة القدم، وأما الذي حدث إذا حدث فإنهم يجعلون (الإرادة) حادثة في ذلك الوقت، وليس عندهم إرادة التي هي صفة قديمة كما عند الأشاعرة، وإذا أثبتوها فإنهم يرجعونها إلىٰ العلم.

الأشاعرة عندهم هٰذا التفصيل، وكل الأمرين عندهم قديم ليس بمتجدد الآحاد مثل (الكلام) صفة (الكلام) عندهم صفة قديمة، ما عندهم كلام يحدث، الله جل وعلا تكلم عندهم بالقرآن في الأزل وكلامه جل وعلا انتهىٰ، تكلم بما شاء ثم انتهىٰ من الكلام، كذلك (الإرادة) يقولون: أراد ما شاء في الأزل، ولا تتعلق (الإرادة) بالأشياء تجديدًا، هل معنىٰ ذلك أن لا يريد هٰذه الأشياء؟ لا، يقولون: يريدها؛ ولكن (الإرادة) هنا جهتها تنجيزية، يعني: تنجيز وإنفاذ للإرادة القديمة.

أهل السنة والجماعة يخالفون في هٰذا كما ذكرت لك قولهم فيقولون: إن (إرادة) الله جل وعلا متجددة، فما من شيء يحدث في ملكوت الله إلا وقد شاءه الله جل وعلا حال كونه، كما أنه جل وعلا شاءه في الأزل، فمشيئته في الأزل بمعنىٰ إرادة إحداثه في الوقت الذي جعل الله جل وعلا ذلك الشيء يحدث فيه، فإرادته للأشياء جل وعلا القديمة ليست إرادة ومشيئة تنفيذية في وقتها.

فلهٰذا نقول: (الإرادة) من حيث هي صفة: قديمة، لكن من حيث تعلقها بالمعين هٰذا متجددة، فلا نقول: إن الله جل وعلا شاء أن يخلق أحمد – مثلا – شاء أن يخلق أحمد منذ القدم، في الأزل، شاء أن يخلق أحمد – هٰذا من الناس – في ذلك الحين، ولكن لم يُخلق إلا بعد كذا وكذا من الزمن.

نقول: هو جل وعلا شاء أن يخلق أحمد إذا جاء وقت خلقه، فإذا شاء الله أن يخلقه خلقه، وأما الصفة القديمة صفة (الإرادة) فهي متعلقة به جل وعلا يعني: مريدٌ لم يزل مريدا، وتعلق (الإرادة) به بتجدد تعلق الحوادث، ولهٰذا نقول: إن إرادة الله جل وعلا ومشيئته المعيَّنة للشيء المعين هٰذه هي التي نعني بها بتجدد الأفراد، ومن حيث هي صفة فإن الله جل وعلا لم يزل متصف بتلك الصفة.

وسبب هٰذا الخلاف بينهم أن أهل السنة والجماعة يقولون: بأن الله جل وعلا لم يزل حيا فعالا لما

يريد، فلا ينفون عن الله جل وعلا الإحداث والخلق في ما شاء جل وعلا من الزمن، بخلاف المبتدعة من الأشاعرة والماتريدية والمتكلمة فإنهم يقولون: الله جل وعلا متصف بالصفات؛ لكنه لم تظهر آثار تلك الصفات إلا في وقت معين.

نعم متصف بالخلق لكنه لم يخلق زمانا طويلا ثم بعد ذلك خلق، متصف بالعلم ولا معلوم، متصف بالقدرة ولم تظهر آثار القدرة إلا بعد أن وجد مقدور وهكذا.

فإذن عند أهل السنة والجماعة أن إرادة الله جل وعلا أزلية؛ لم يزل الله جل وعلا كذلك، الله جل وعلا هو (الأول) وصفاته كذلك، لم يزل متصفا بتلك الصفات، ومقتضىٰ ذلك أن يكون لتلك الصفات آثار في ملكوته.

علىٰ كل حال هٰذا بحث ذكرته بهٰذا الشيء من التفصيل؛ لأن هناك في هٰذا الزمن من يثير هٰذه القضية علىٰ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ويجعل من مستنداته بحث الإرادة وهل هي قديمة أم جديدة؟

(الإرادة) من حيث مذاهب الناس فيهاأربعة:

- فالفلاسفة يقولون: إن حدوث الملكوت؛ حدوث المحدثات هٰذا لم يكن عن إرادة؛ لأنه كالمعلول للعلة، يعني أنه لابد أن يحدث، فما دام أن الله جل وعلا موجود فلا بد أن يكون - مباشرة - أن يكون محدثات؛ لأن الله محدِث فلا بد أن يكون ثَم محدثات، ولهٰذا قالوا: بأن العالم قديم والله قديم، لماذا؟ لأن عندهم تلازم، تلازم فوري، فإن عندهم المحدثات بالنسبة للمحدِث كالمعلول بالنسبة للعلة؛ يعني مثل النور مع الشمس، الشمس، توجد الشمس وُجد النور، فالنور نتيجة للشمس نتيجة حتمية، مثل وقوف الرجل في الشمس، لا بد إذا وقف في الشمس أن يظهر ظل، فهٰذا الظل بالنسبة للشخص هو المعلول بالنسبة للعلة، يعني حتمي، ما يكون متعلق بإرادته أن يظهر له مرة ظل أو لا يظهر ظل.

فإذن هٰذا قول نفاة الإرادة أصلا في حدوث العالم، طبعا يتبع ذلك قضايا كثيرة ليس هٰذا محل بيانها.

- الثاني من أقوال الناس في الإرادة: قول المعتزلة، والمعتزلة يقولون بإثبات الإرادة؛ ولكنها إرادة حادثة لا في محل، يعني: لم تقم بالله جل وعلا؛ لأن عندهم أن الإرادة متجددة، ولا يجوز أن تقوم المتجددات بالله جل وعلا؛ بل الذي يقوم بالله جل وعلا هي الثابتة عندهم التي هي: القدرة والصفات

الثلاث التي يثبتونها القدرة والحياة وغيرها... [1] لأنهم فروا من قيام الحوادث به.

- القول الثالث قول الأشاعرة وقد مر معك مفصلا وأن الإرداة إرادة قديمة وتعلق المرادات بها قديم وإحداثها يكون بالتنجيز بتعلقها بالقدرة.

- القول الأخير الذي هو قول أهل السنة والجماعة لذلك وقد مر معك مفصلا.

هٰذه الأقوال من حيث (الإرادة) عام.

انقسام الإرادة إلىٰ شرعية دينية وإلىٰ كونية قدرية، هٰذه يثبتها أهل السنة والجماعة، وكذلك يثبتها الأشاعرة والماتريدية، فعند الأشاعرة كما نصوا عليه والماتريدية كما نصوا عليه في كتاب «المسامرة» مثلا أو «المسايرة في شرح المسامرة» في حواشيهم أثبتوا أن الإرادة تنقسم، ويشيع عند بعض الناس أن الأشاعرة والماتريدية ينفون انقسام الإرادة إلىٰ كونية قدرية وشرعية دينية هٰذا ليس بصحيح، فهم يثبتون ذلك ويدللون عليه.

أما الذي ينفي هٰذا التقسيم فهم القدرية، القدرية الجبرية، أو القدرية النفاة الذين ينفون القدر.

القدرية النفاة مثل المعتزلة، والقدرية الجبرية معروفون مثل الجهمية وغلاة الصوفية، الأشاعرة هم جبرية متوسطة لكنهم لم يقولوا هنا بعدم الانقسام، هٰذا من ثمرات الخلاف، أو من أنواع الخلاف في هٰذه المسألة.

الثالث أنه يتبع ذلك التزام الإرادة بالمحبة والرضا، هل الإرادة والمشيئة ملتزمة بصفة المحبة والرضا؟

عند من نفىٰ الإرادة الشرعية قال: كل ما شاءه الله جل وعلا فهو مراد له محبوب؛ لأنه لا يحدث في ملكه شيء لا يحبه، وبالتالي قالوا: إن كفر الكافر وعصيان العاصي هٰذه وقعت والله جل وعلا لا يحبها.

فإذن الله جل وعلا لم يردها ولم يشأها.

فإذن دخلوا في أن أفعال العبد منقسمة إلىٰ أفعال أرادها الله وشاءها، وأفعال لم يردها الله جل وعلا ولم يشأها.

ما الذي شاءه وأراده؟ طاعة المطيع، إيمان المؤمن.

---

(١) يوجد سقط.

ما الذي لم يرده ولم يشأه جل وعلا؟ هو عصيان العاصي، وكفر الكافر.

وهٰذا علىٰ قول الذين ينفون التقسيم أو لا يقولون به.

وأما عند المقسِّمة إلىٰ إرادة دينية شرعية وإرادة كونية قدرية فإن هٰذا التلازم عندهم ليس واردا؛ لأن الإرادة عندهم إذا كانت كونية فإنها قد تقع بما يحبه الله جل وعلا ويرضاه، وقد تقع بما لا يحبه الله جل وعلا ولا يرضاه، فإن الكفر كونا حصل في ملك الله بمشيئة الله، وهو جل وعلا لا يرضاه، والإيمان حصل في ملك الله وفي ملكوت الله وهو يرضاه، والإيمان أَمَر به والكفر نهىٰ عنه.

ولهٰذا يقول علماؤنا: إنه في حق المؤمن المطيع تجتمع الإرادتان الشَّرعية الدينية والكونية القدرية، وفي حقِّ العاصي إما بالمعصية وهو من أهل الإيمان أو بكفر الكافر، فهٰذا يكون في حقه الإرادة الشرعية أو الإرادة الكونية؟ في حقه الإرادة الكونية؛ لأنه خالف الإرادة الشرعية.

إذا تبين لك هٰذا فإن (إرادة) الله جل وعلا لها جهتان:

- جهة في فعله جل وعلا.
- والجهة الأخرىٰ في فعل العبد.

أما فعله جل وعلا وتعلق (الإرادة) به فكما قال جل وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة] فالله جل وعلا ما أراده فعله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا لمشيئته جل وعلا.

وأما فعل العبد فهو من حيث (الإرادة) مراد له – للعبد – وهو مراد لله جل وعلا إذا توجهت (إرادة) العبد باختياره إليه، فإن العبد يريد فعلا يفعله من الطاعة أو من المعصية هو مختار إذا توجهت (إرادته) – إرادة العبد – لهٰذا الفعل وفعله فإن الله جل وعلا ما مكنه من فعله إلا بعد أن شاء ذلك وذلك لأنه لا يحدث في ملكوت الله إلا ما يريده جل وعلا وما يشاؤه، وأذن الله جل وعلا كونًا بحصول الأشياء التي يريدها العبد مما لا يُرضي الله جل وعلا ابتلاءً للعباد وحكمة؛ لأن حقيقة الابتلاء لا تحصل إلا بذلك.

فإذن من جهة (إرادة) العبد – من جهة العبد – فإن العبد يريد، له مشيئة، له إرادة، وإذا أراد الشيء فإنه لا يكون إلا إذا أراده الله جل وعلا كونا وهٰذا يلاحظه المرء في نفسه، فإنك تجد أن مثلا: الصَّالح من عباد الله يتوجه إلىٰ شيء من الفعل ويريده ثم يُصرف عنه بشيء لا يدري ما سببه، يُصرف عنه بأنواع من الصوارف، وهٰذا لأن الله جل وعلا لم يُرد أن يُحْدِث ذلك لعبده المعيَّن، العبدُ تارة يكون عنده القدرة التامة علىٰ تحصيل هٰذا الشيء وعلىٰ فعله، وأراده لكن الإرادة كانت إرادة جازمة لكنه صُرِف عنه،

صُرِف عنه ذلك الشيء ولم يُترك ونفسه بل منحه الله جل وعلا عونًا خاصًّا صرفه عن ذلك السوء الذي أراد أن يفعله، كذلك ما يريد العبد أن يفعله من الطاعات وعنده القدرة عليه فإنه يلحظ من نفسه أنه لا يستطيع أن يُحْدِث بإرادته وبقدرته الفعل المعيّن بمجرد إرادته وقدرته وإنما يجد أن ثَم إعانه خاصة أتته منعت مضادات الإرادة ومضادات القدرة.

مثلا: العبد أراد أن يصلي أن يأتي للصلاة في المسجد وعنده هٰذه الإرادة وعنده القدرة علىٰ المشي في ذلك قد تصده شواغل كثيرة، يتسلط عليه الشيطان، تتسلط عليه فتنة في نفسه أو في بصره في عينه أو يُثَبَّط عن ذلك، فالمطيع الذي وُفِّق صُرِفت عنه أنواع الصَّوارف والمُعيقات، هٰذه من (إرادة) الله، الله جل وعلا أراد منه أن يصلِّي ولو لم تُصْرف عنه هٰذه ربما قعد عن ذلك، لو كانت عنده ذلك ثم أتته الشواغل فإن الله جل وعلا كونًا لم يرد منه أن يصلِّي في المسجد ولذلك لم يقع منه الصلاة في المسجد.

في **الحال الأولىٰ** الإعانة الخاصة علىٰ تحقيق إرادته المقترنة بالقدرة هٰذا يسمىٰ (التوفيق)، والآخر وهو سلبه الإعانة الخاصة التي تَصْرِف عنه المضادات لما يريده من الخير هٰذا يسمىٰ (الخِذلان)، وهٰذا وجه تعلق (التوفيق) و (الخِذلان) بإرادة الله جل وعلا وقدرته وإرادة العبد وقدرته.

إذن يتضح لنا مما سبق أن هٰذا البحث واضح بحمد الله ألا وهو صفة (المشيئة) و(الإرادة) لله جل وعلا علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح، وقولهم فيها واضح سهل ميسور لا يكاد أحد لا يفهمه ممن عنده نوع عقل كما قال شيخ الإسلام، يعني أي واحد عنده بعض العقل يفهم هٰذا القول: (المشئية) متعلقة بكل شيء و(الإرادة) منها شرعي ديني ومنها كوني قدري، وهٰذا مذهب أهل السنة والجماعة.

أما أقوال المخالفين ففيها تعقيد لا يكاد يفهمها كل أحد، فلابد فيها من فهم خاص وتعليم خاص فهي لا تناسب الفِطر، ولا تناسب العوام وإنما تحتاج إلىٰ تعليم تلو تعليم حتىٰ تُفهم.

وهٰذا من الدلائل علىٰ عدم مناسبتها لهٰذه الشريعة؛ لأن هٰذه الشريعة أمية كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «نحن أمة أمية» قال الشاطبي في «الموافقات»: الشريعة أمية يعني أنها تناسب الأمة جميعا بجميع صفات أهلها، من ذكاء وبلادة ومن غني وفقير ومن عال ونازل إلىٰ آخر هٰذه الأصناف.

نكتفي بهٰذا القدر، إذا كان في أسئلة في الموضوع، يأتي إن شاء الله بحث المحبة والرضا وتعلق ذلك بـ(الإرادة) ةالآيات في ذلك.

[الأسئلة]

سؤال (٢١): يقول: هل هناك فرق بين المشيئة والإرادة غير التقسيم الذي ذكرتم؟

الجواب: ما أذكر عن أحد من أهل العلم أن ثَم تفريقا آخر، المشيئة والإرادة تتفقان إذا كانت الإرادة بمعنىٰ الإرادة الكونية، وتختلفان إذا كانت الإرادة هي الإرادة الشرعية.

سؤال (٢٢): وهل أفردها العلماء بتعريفات خاصة؟

الجواب: نعم، المشيئة والإرادة فيه لها تعريفات؛ لكن هٰذه التعريفات ليس حاصلها التفريق بين المشيئة والإرادة، أحيانا يكون تعريف لغوي، فرق لغوي؛ لكن فرق عقائدي بين هاتين الصفتين هو الذي كان الكلام فيه، ليس ثَم تفريق فيما أعلم إلا التفريق الذي ذكرتُ.

سؤال (٢٣): .....

الجواب: هٰذه كلمات عندهم يستعملونها في الصفات بسبب تعلقاتها، يعني تعلق الصفة عندهم تعلق صلوحي يعني تعلق بما يصلح له من الصلاحية، يعني مثل ما تقول تعلق صَلاحي يعني بما يصلح له قالوا: تعلق صلوحي يعني بما يصلح له، هٰذا التعلق الصلوحي أزلي، يعني قديم.

تعلق تنجيزي هٰذه عندهم في القدرة والإرادة وفي بعض الصفات يستعملون هٰذا التقسيم، التعلق التنجيزي يعني تعلق الصفة بالأثر حال تنجيزه؛ حال إنجازه، حال إنفاذه.

مثلا: الإرادة، الله جل وعلا أراد بَعثة محمد ﷺ، نعم، أراد إرساله، من حيث الإرادة عندهم هٰذه من حيث – عند الأشاعرة – هي مرادة في القدم الله أرادها قديما، لكن تعلقها من حيث القدم هل هو تعلق للإنفاذ أو تعلق من جهة العلم، عندهم هنا يقولون تعلق صلوحي لأنها راجعة للعلم، يعني صلحت لذلك، صلح محمد عليه الصلاة والسلام للبَعثة؛ لأن الله جل وعلا علم ذلك، ظاهر؟

لكن التنجيزي ما حدث ذلك وأُنْجِز إلا بعد أن أمر الله جل وعلا جبريل عليه السلام أن يأمر محمدا عليه الصلاة والسلام بإنذار الناس.

التعلق الصلوحي اللي هو القديم، والتنجيزي اللي هو لإنجاز الشيء وإنفاذه.

سؤال (٢٤): .....

الجواب: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد:١١]؛ (المعقبات) هنا الملائكة الذين يتعاقبون علىٰ العبد؛ لأن العبد موكَّل به ملائكة:

منهم ملائكة للكتابة – كتابة أعمالهم .

ومنهم ملائكة لحفظه. وهؤلاء الملائكة يقال لهم المعقبات، وقوله هنا: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ قال بعض العلماء هم أربعة اثنين من بين يديه واثنين من خلفه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، ﴿مِنۡ﴾ ها هنا اختلف فيها المفسرون فقوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾:

* بعضهم أجرىٰ ﴿مِنۡ﴾ علىٰ معناها الأصلي، وقال: إن معنىٰ الآية يحفظونه، وذلك الحفظ له من أمر الله، (من) قالوا: علىٰ معناها الأصلي، وهؤلاء أيضا اختلفوا:

– فقال بعضهم: ﴿مِنۡ﴾ هنا علىٰ معناها الأصلي، و﴿يَحۡفَظُونَهُۥ﴾ تقدر: يحفظونه وحفظهم له من أمر الله، حفظهم له ليس من جراء أنفسهم ولكن الله جل وعلا أمرهم بذلك، هٰذا قول.

– قال آخرون – الذين قالوا: إن ﴿مِنۡ﴾ معناها هو المعنىٰ الأصلي – ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ كما قال ابن عباس وغيره قال: فإذا أتىٰ قدر الله خلّوا بين العبد وبين ما قدر الله، يحفظونه من المرض فإذا أتىٰ أمر الله – الذي هو الأمراض – أمر الله جل وعلا الكوني الذي ذكرت الذي هو وقوع الآفات أن يقع به حادث، أن يعتدي عليه أحد، فالملائكة تحفظه من ذلك الشيء، تحفظ أن ينتقل له المرض، هي تحفظ أن يصاب بهٰذا الشيء تحفظه من ذلك تحفظه ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعني مما سيصيب العبد لو تركته الملائكة يعني الذي هو من أمر الله الذي يحدث في ملكوته، فوجود الأمراض وجود الآفات وجود المصائب وجود ما ينغص علىٰ العبد هٰذه كلها وقعت بأمر الله الكوني.

صحيح؟ الملائكة تحفظ العبد من هٰذه الأشياء التي هي من أمر الله. ظاهر؟ هٰذا الذي أبقوا ﴿مِنۡ﴾ علىٰ معناها.

* وآخرون قالوا: ﴿مِنۡ﴾ هنا بمعنىٰ الباء وقوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعني يحفظونه بأمر الله.

وهناك من يقول بالتضمين طبعا الذي هو الأصح وتكون هنا ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ بمعنىٰ ﴿مِنۡ﴾ الأصلية الذي هو يحفظونه وذلك الحفظ والحراسة من أمر الله جل وعلا وليس من فعل الملائكة وحدهم يعني من جهتهم دون أمر الله لهم.

هٰذا فيه بيان فضل الله جل وعلا علىٰ العبد ونحو ذلك. والله أعلم...

سؤال (٢٥): يقول: بعض الناس إذا فعل شيئا غير صحيح أي غير موافق للشريعة قال: هٰذا من مشيئة الله؛ لأن الله أراد أن أكون كذا، فماذا نرد عليه؟

الجواب: هو من جهة وقوع الذي حصل من المعصية لا شك أنه ما وقع إلا بمشيئة الله؛ لكن مشيئة الله جل وعلا الكونية ما يحتج بها العبد فيما يُعابُ به، ما يحصل للعبد نوعان مما يلام عليه:

- نوع من المصائب.
- ونوع آخر هو من المعايب.

والاحتجاج بالمشيئة أو بالإرادة إرادة الله الكونية أو بالقدر يجوز أن يُحتجَّ به في المصائب، أما في المعايب فلا يجوز الاحجاج به، وذلك لأن النبي ﷺ بين في حديث احتجاج آدم وموسىٰ أن آدم عليه السلام قال لموسىٰ: هل رأيت أن الله كتب عليّ هٰذا قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض؟ قال نعم. قال: فحج آدم موسىٰ.

وجه كون آدم حج موسىٰ أن هٰذه التي هي الإخراج من الجنة مصيبة أصيب بها آدم وأصيبت بها ذريته، وموسىٰ لام آدم علىٰ ما أصاب موسىٰ وما أصاب ذرية آدم من جراء تلك المعصية التي هي جرّت تلك المصيبة.

فإذن هو يسأله عن المصيبة وحج آدم موسىٰ؛ لأنه احتج بالقدر علىٰ ما أصابه وهو إخراجه من الجنة.

بهٰذا القدر والإحالة علىٰ إرادة الله إذا كانت ثَم مصيبة علىٰ العبد فإنه يحيلها إلىٰ القدر؛ لأن هٰذا فيه نوع التسليم والرضا بقضاء الله جل وعلا.

أما إذا كانت من المعايب والآثام فلا يجوز أن يحيل إلىٰ القدر؛ لأنه له علاقة هو بما فعل، لم يُصَب بذلك وإنما له علاقة بما فعل ألا وهو معصيته وعدم موافقته للإرادة الشرعية، لهٰذا يقول علماء الحديث: يُحْتَجُّ بالقدر في المصائب لا في المعايب...

نسأل الله جل وعلا لنا ولكم التوفيق والسداد والهداية والاستقامة والثبات وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.